بسم الله الرحمن الرحيم

حول الكتاب

«الكنز الاكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»

الدكتور حسن حسين تونجبيلك*

سبق أن تحدثنا في العدد الأول من هذه المجلة عن حياة عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الصالحي الدمشقي ومؤلفاته، وأوجزنا الكلام عن مؤلفاته دون أن نسرد معلومات واسعة عنها.

والجدير بالذكر أن حديثي عن حياة ابن داود فيما سبق لم يكن إلا تمهيداً للحديث عن كتابه القيم «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وذلك من بعض نواحيه المهمة، لأن الأمر بالعروف والنهي عن المنكر -وإن كان من الأمورالفرعية عند أهل السنة- فإنه من الأمور العقدية عند بعض المذاهب، وخاصة عند المعتزلة. فلذلك قد دخل في المسائل الكلامية.

أولاً: موضوع الكتاب:

أما موضوع الكتاب فكما هو ظاهر من عنوانه فإنه يعالج قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد درس المؤلف هذه القضية من جميع جوانبها، كما سيتضح لنا من خلال الحديث عن أقسامه.

---

* الأستاذ المساعد بجامعة حران، كلية الإلهيات فرع علم الكلام.

ثانياً: أقسام الكتاب:

وقد قسم المؤلف كتابه إلى عشرة أبواب، أربعة منها في الجزء الأول[1]، وستة في الجزء الثاني[2] من هذا الكتاب.

وقد تناولت الأبواب الأربعة في الجزء الأول ما يلي:

الأول: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرضيتها، وبيان ذم تارك ذلك، وتأكيد الأثم على من صد عنه.

الثاني: بيان أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشروطه، ودرجاته ومراتبه.

الثالث: بيان طبقات الناس من الآمرين والمأمورين والمتخلفين، وأن القائمين بذلك بين أهل الفساد من الغرباء المكروهين.

الرابع: بيان ما يستحب من الأفعال والأقوال والأحوال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد تناولت الأبواب الستة من الجزء الثاني ما يلي:

الخامس: في بيان ما يكره من الأقوال والأفعال والأحوال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

السادس: في بيان ما يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان في غالب الأحيان وأكثر الأزمان.

السابع: في عدم الإشتراط للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون سليماً من المعصية، وأن الأمر والنهي غير مختص بولاة الأمور. وفيه ذكر شيء من المنكرات المألوفة بين الناس.

الثامن: في الحث على إقامة الحدود، وبيان تحريم تعطيلها بشفاعة وغيرها اذا اتصلت بولي الأمر.

التاسع: في فضل الإصلاح بين الناس واستحباب معونتهم على البر والتقوى.

---

١ حقق هذا الجزء الدكتور محمد نور مصطفى الرهوان السوري الجنسية.

٢ هذا الجزء من تحقيقي أنا.

العاشر: في خاتمة الكتاب، وفيه أربعة فصول تزيل الإكتآب.

الفصل الأول: في بيان ما يلتبس على قوم من مفهوم قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾[٣].

الفصل الثاني: في ذكر بعض من بذل نفسه لله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووعظ الخلفاء والملوك وغيرهم.

الفصل الثالث: في ذكر بعض من نيل بضرب أو حبس، أو اختفى أو نفي بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الرابع: في ذكر بعض من قتل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: منهج المؤلف في تأليف الكتاب:

نهج المؤلف في تأليف كتابه منهجاً يمتاز ببعض السمات.

السمة الأولى: جودة الترتيب والتوبيب، فإنه وزع هذه المادة الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فكانت بمثابة المدخل الى الموضوع، تحدث فيها المؤلف عن الطائفة المنصورة وخصائصها، وعن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم عن سبب تأليف الكتاب، ثم عرض جميع عناوين أبواب الكتاب عرضاً شاملاً.

ثم بدأ بذكر الأبواب، وجعل تحت كل باب فصولاً كثيرة، عنون لبعضها ولم يعنون للبعض الآخر. وجاء في آخر كل فصل بعبارات يغلب عليها السجع يعبر بها عن أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولزوم القيام بها.

السمة الثانية: الشمولية والإستيعاب، حيث أن المؤلف استوعب جميع ما يتعلق بقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كل النواحي، فبين فرضيته وأحكامه وشروطه ودرجاته ومراتبه، وما يسقطه في بعض الأحيان. وتحدث عن إقامة الحدود، وفضل الأصلاح بين الناس، والتعاون على البر والتقوى، وعن

---

٣ سورة المائدة: ١٠٥.

موقف العلماء من الخلفاء والملوك، وتضحيتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحنتهم في ذلك.

ومما ينبغي ذكره أن المؤلف جمع كل الأدلة الواردة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة والتابعين، ومن تبعهم، والعلماء بعدهم. وسار على هذا المنهج في الكتاب كله.

وقد اعتمد المؤلف في شرح الآيات على العلماء البارزين في علم التفسير.

وفي الأحاديث جمع كل ما ورد في الموضوع من الروايات المختلفة للأحاديث، ورجع في ذلك إلى معظم كتب السنة، ونقل بدقة وأمانة. وإذا وقع اختلاف بين الروايات فإنه أشار إليه.

ومما يمتاز به منهج المؤلف أنه طرز الكتاب بمئات الأبيات من الشعر، لأن الشعر الحسن له أهمية بالغة في نصرة العقائد وترويجها، ونشر الفضائل وتحليتها.

قال الرافعي في ذلك: «وإنما الوزن من الكلام كزيادة اللحن على الصوت، يراد منه اضافة صناعة من طرب النفس إلى صناعة من طرب الفكر»[٤].

وبهذا تكون منهجية ابن داود الطيبة لا تقل عن ما لدى غيره من كبار العلماء[٥].

رابعاً: أهمية الكتاب:

كتاب «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ذو أهمية بالغة في بابه، وذلك لأسباب كثيرة:

---

٤ وحي القلم: ٢٨٥/٣.

٥ ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام أن المؤلف -إلى جانب ذكره للأحكام المتعلقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- كان يتخذ أسلوب الوعظ والإرشاد في بعض جوانب الكتاب حسبما يقتضيه المقام.

١- مكانة مؤلفه العلمية والخلقية:

وقد كان المؤلف الشيخ ابن داود -كما ذكرنا في العدد الأول من هذه المجلة- عالماً من العلماء البارزين في شتى العلوم، وصاحب قدم راسخة في الزهد والورع والتقوى، وصاحب خبرة في معالجة العلل الإجتماعية والأخلاقية، فهو المربي والمؤدب والقدوة.

فكان كتاب «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ثمرة ناضجة من ثمار هذا العالم الرباني الزاهد الورع التقي القدوة المربي.

٢- الإستيعاب والشمول:

فقد حرص المؤلف على أن يكون كتابه «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» جامعاً شاملاً مستوعباً لكثير من قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والذي يدرس كتابه المذكور دراسة دقيقة يجد في الغالب أنه لم يترك أي موضوع من مواضيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا وتعرض لها، وبيّن حكمه، وما يتعلق به من قضايا ومسائل.

وقد تضمن الكتاب -كما ذكرنا آنفاً- نصوصاً كثيرة جامعة لكل ما يتعلق بالموضوع من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وآثار عن الصحابة والتابعين، وأقوال العلماء العاملين.

وبهذا التوسع الموضوعي الشامل أصبح الكتاب وحيداً في بابه، فريداً في استيعابه بالنسبة لما كتب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبواب أو كتب.

٣- أهمية موضوع الكتاب:

وذلك أن موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له أهمية في حياة المسلمين، وهو سبب إرسال الرسل الى الناس، وبسببه وصف الله سبحانه وتعالى أمة محمد ﷺ بأنها خير أمة أخرجت للناس، حيث قال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[٦]. ووصف رسول الله ﷺ القائمين بالأمر بالمعروف والناهين عن المنكر بأنهم خلفاء الله وخلفاء رسوله وخلفاء كتابه، فقال: «من أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله، وخليفة كتابه»[٧].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[٩]: «فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء الى الأسلام والقتال عليه»[١٠].

ومما ينبغي الإشارة إليه أننا لا نريد الإطالة هنا في بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما نريد من تلك الإشارة السريعة بيان أهمية كتاب: «الكنز» تبعاً لأهمية موضوعه، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويقول فيه عبد القادر أحمد عطا في مقدمة كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال: «ومن العجيب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما له من أهمية بالغة في ازدهار الحضارات الدينية، وبما استحق العادلون عنه لعنة الله، وبما له من أهمية في بناء الإيمان ونصرة دين الله، لم يظفر بعناية من الكتاب المسلمين كما ظفرت فروع الدين الأخرى. فنحن لا نرى فيه مؤلفاً مستقلاً إلا هذه الرسالة الملحقة بهذا البحث، وكتاب «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للصالحي الحنبلي،

---

٦ سورة آل عمران: ١١٠.

٧ رواه القرطبي في تفسيره (٣١/٤).

٨ سورة التوبة: ٦٧.

٩ سورة التوبة: ٧١.

١٠ تفسير القرطبي: ٣١/٤.

وهو مخطوط في مائتي ورقة، وكتاباً آخر مجهول المؤلف في مخطوطات المكتبة الأزهرية، ثم بحوثاً متفرقة. منها: ما كتبه الغزالي في الأحياء، وما أورده ابن حزم في المحلى، وما عرض له الماوردي وأبو يعلى في كتابيهما: «الأحكام السلطانية» وغير ذلك من بحوث مبعثرة في المطبوعات والمخطوطات، لا توازي أهمية الموضوع في الحفظ على شريعة الإسلام من هجوم البدع وترهات التحريف».

ومن خلال السرد المتقدم يتضح جلياً أهمية موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتالي «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لأنه هو الكتاب الوحيد الذي يتناول الموضوع مستوعباً لجميع قضاياه.

٤- مصادر الكتاب:

ومما يزيد في أهمية الكتاب ويبرز قيمته العلمية، تنوع مصادره وكثرتها، حيث أن المؤلف رجع في تأليف كتابه إلى المصادر الأصلية. ومن هذه المصادر: كتب التفسير والحديث والأخلاق والتربية والتاريخ والفقه وما إلى ذلك.

وإليكم أهم هذه المصادر:

فمن كتب التفسير: جامع الأحكام للقرطبي، والبحر المحيط لابي حيان التوحيدي، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير ابن كثير، ولطائف الإشارات للقشيري، والكشاف للزمخشري، وتفسير ابن مردويه.

ومن كتب الحديث: الكتب الستة، والموطأ، ومسند الإمام أحمد والطيالسي وابي يعلى والبزار، وصحيح ابن حبان وابن خزيمة، والأمثال وأعمال الثواب لأبي الشيخ، والمعاجم الثلاثة للطبراني، والترغيب والترهيب للاصفهاني والمنذري، والصبر والمداراة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصمت لابن أبي الدنيا، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وحلية الأولياء لابي نعيم، والزهد

للإمام أحمد وابن المبارك، وأحمد بن أبي الحواري والبيهقي، والمستدرك للحاكم، ومسند الشهاب للقضاعي، والشمائل للترمذي، وشعب الإيمان والسنن الكبرى للبيهقي، وسنن الدارقطني، والمصنف لابن أبي شيبة، والكامل لابن عدي، ومسند الفردوس للديلمي ومكارم الأخلاق للخرائطي.

ومن كتب الأخلاق والتربية والفقه العام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي طالب عمر بن الربيع الخشاب وأبي بكر الخلال وأبي يعلى، ومنظومة ابن عبد القوي، واحياء علوم الدين للغزالي، والآداب الشرعية لابن مفلح، والغنية لعبد القادر الكيلاني، ومدارج السالكين لابن قيم، وبهجة المجالس لابن عبد البر، وفنون ابن عقيل، وقواعد الأحكام لعز بن عبد السلام.

ومن كتب الفقه: الطرق الحكمية لابن قيم، والمغني لابن قدامة، والفروع لابن مفلح، والأحكام السلطانية للماوردي وأبي يعلى، والمعتمد أيضاً لابي يعلى، والرعاية الكبرى لابن حمدان.

تلك هي أهم مصادر الشيخ ابن داود التي رجع إليها في تأليف كتابه «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

٥- منزلة الكتاب بين الكتب التي ألفت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

مع أن موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذو أهمية بالغة -كما قدمنا- فلم يحظ البحث فيه بالعناية اللازمة من قبل العلماء ما عدا معالجات يسيرة له قام بها علماء التفسير والحديث وغيرهم في كتبهم.

وقليل من العلماء من تناول ذكر هذا الموضوع بالتوسع في الدراسة -سواء كانت هذه الدراسة في مؤلف مستقل، أو ضمن كتاب مع موضوعات أخرى- بل اكتفى بدراسته في فصل أو باب من أحد كتبه أقل القليل منهم.

وممن ألفوا فيه كتاباً مستقلاً:

ابن ابي الدنيا (ت ٢٨١هـ/٨٩٤م)[١١]، وأبو بكر الخلال (ت ٣١١هـ/٩٢٣م)[١٢]، وعمر بن الربيع (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)[١٣]، والقاضي أبو يعلى (ت ٥٢٦ هـ/١١٣٢م)[١٤]، والإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨م)[١٥]، ومن المعاصرين الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، وعز الدين البيانوني، وجلال الدين العمري. كلهم بعنوان «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وقد ألف تقي الدين بن قاضي عجلون رسالة صغيرة سماها «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١٦]، وألف من المعاصرين فاروق عبد المجيد حمود السامرائي كتاباً بعنوان «مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

تلك أهم الكتب التي ألفت في هذا الشأن. وإذا قارنا بينها وبين كتابنا «الكنز الأكبر» يتضح لنا جلياً أن «الكنز» أكبر تلك الكتب حجماً وتوسعاً واستيعاباً لذكر الأحكام وأدلتها، وما يتصل بها، أو يتفرع عليها.

وإذا كانت منزلة كتاب «الكنز» من تلك الكتب التي بحث فيها موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحثاً مستقلاً على نحو ما ذكرنا سابقاً، فإن ذلك يدل من باب أولى على منزلته المتميزة على غيرها من المؤلفات التي اقتصر أصحابها على مجرد

---

١١ يوجد منه نسخة خطية في الهند في مكتبة رامبور برقم (٣٥٨/١) ولم أتمكن من الحصول عليه. وقد نقل المؤلف عنه كثيراً.

١٢ مطبوع بتحقيق عبد القادر أحمد عطا.

١٣ لم أعثر عليه في فهارس المخطوطات. وقد نقل المؤلف عنه كثيراً.

١٤ يوجد منه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٤٢ مجموع)، (انظر فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، منتخب مخطوطات الحديث)، ص ٢١٨.

١٥ مطبوع بتحقيق الدكتور صلاح الدين منجد.

١٦ يوجد من هذه الرسالة في المكتبة الظاهرية كما ذكرها اسماعيل باشا في ايضاح المكنون (٣٨٤/٢).

دراسة قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أبواب وفصول كاحياء علوم الدين للغزالي، وشرح الأصول الخمسة والمغني للقاضي عبد الجبار، وابن حزم في المحلى، وابن مفلح في الآداب الشرعيا وما إلى ذلك. أو كتب الحسبة حيث أن الحسبة تعتبر تنفيذاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال عبد القادر أحمد عطا معبراً عن أهمية «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وذلك من خلال المقارنة بين وبين كتاب الخلال -قال-:«وبالموازنة بين كتاب الصالحي وهذ الكتاب نجد أن الصالحي في الكنز لجأ إلى بحث الموضوع من جهات مترامية في ابعادها وتنوعها، وعرض لأصول السلوك الإسلامي الأصيل بالتفصيل، وبوب كتابه على عشرة أبواب كبار تندرج تحتها فصول، وأفاض في سرد الأحاديث والآثار، وحققها، واستنبط نصوصاً في الأمر والنهي، وأشار الى مؤلفات لم تقع لنا الى الآن»[١٧]

خامساً: بعض المآخذ على الكتاب:

من الأمر الصعب جداً الإقدام على بيان المآخذ على عمل من أعمال العلماء القدامى الذين اشتهروا بغزارة علمهم وسع اطلاعهم، ولكن ليس هناك بد من ركوب هذا الأمر الصعب، مهم بلغ في العلم والمعرفة فهو معرض للخطأ والنسيان، وعلى هذا فلا تمنع مكانته العلمية من ابداء ملحوظاتنا حول كتابه «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وذلك كما يلي:

١- استرسال المؤلف في عامة أبواب الكتاب استرسالاً زائداً سواء كان في الإستشهاد بالآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية.

فمثلاً عندما يشرح الآيات المتعلقة بموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يتوسع في ذلك توسعاً بيّناً يشمل تفسير الآية كلها، والمفروض أن يكتفي بذكر ما يلزم شرحه في موطن الإستشهاد في الآية.

١٧ مقدمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال: ٧٢-٧٣.

وعندما يستشهد بالأحاديث الواردة حول فكرة معينة فإنه يأتي بكل رواياتها في كتب الحديث، ولو كان الفرق بينها يسيراً ولا يؤثر في المعنى، وليس في هذا فائدة كثيرة، بل هو يقطع على القارئ تسلسل الأفكار وترابطها، ويؤدي الى ضخامة الكتاب دون مبرر.

٢- يذكر المؤلف أحياناً كلاماً مستقلاً ليس له أي صلة بالموضوع الذي تتناوله الدراسة.

٣- كثرة النقول الواردة في الكتاب بحيث لا تبرز شخصية المؤلف من خلالها.

٤- ومما يؤخذ عليه أنه ينقل الكلام عن أحد العلماء ولا يعزوه إليه، وفي كثير من الأحيان يعزو الكلام إلى صاحبه، وذلك بعد أن ينقل عنه الشيء الكثير قبل تصريحه.

٥- ومما يؤخذ عليه أيضاً أنه يقول أحياناً قال العلماء، أو قال المفسرون، من أن الكلام كله يكون منقولاً عن واحد منهم دون أن يذكر اسمه.

هذه هي بعض المآخذ التي ظهرت لي على المؤلف اثناء عملي في هذا الكتاب، وإن كان ذلك لا يقل من قيمته العلمية، واستيعابه لدراسة قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما نقله إلينا من نصوص بعض المخطوطات التي لم تطبع بعد.